

محمد رشيد رضا وتفسيره المنار (بحث تحليلي)

Muhammed Emin NURMUHAMMED*

ملخص البحث:

تفسير المنار ومؤلفه محمد رشيد رضا من أهم المراجع التي يُرجعُ إليه في مراجعة أحوال الأمة الإسلامية قبل قرن حتى يومنا هذا، وبما أن حياة المؤلف وجهوده العلمية هي ثورة ضخمة وانقلاب إصلاحي على التخلف وجمود الفكر، وصرخة إلى اليقظة والصحو، وقد بذل فيه المؤلف جهداً عظيماً لإصلاح المجتمعات الإسلامية، وغرس من خلاله في قلوب المسلمين قوة وعزة لا تتحقق إلا بالقرآن والسنة.

إن هذا البحث يهدف إلى التعرف على المؤلف مع بيان شخصيته وجهوده المتعددة ومؤهلاته وإسهاماته في مجتمعه، ودوره في الحركات الإصلاحية التي عاصرها علمية أو سياسية، وإلى التعرف على تفسير المنار منهجاً وأسلوباً، والذي ساهم في بعث الأمة على المشهد الحضاري، حيث إن المؤلف كان على علاقة وطيدة بفكر زعماء الإصلاح من أمثال السيد جمال الدين الأفغاني، والأستاذ محمد عبده، مما جعله عالماً بمنهج الإصلاح الهادفة إلى معالجة هموم الأمة وقضاياها، وفرضيات الأوضاع والظروف في كل مستوياتها، وجاء هذا البحث في ثلاث نقاط وخاتمة: تعريف المؤلف، تعريف التفسير، تعريف الأوضاع في ذلك الوقت، ثم تأتي الخاتمة بذكر أهم النتائج وبعض التوصيات.

الكلمات المفتاحية: تفسير المنار، رشيد رضا، الإصلاح، التجديد، السياسة.

MUHAMMED RESHED RIZA AND HIS WORK TAFSEER AL-MANAR (ANALYTICAL RESEARCH)

Abstract

Tafsir Al- Manar and its author Muhammed Reshed Riza is an important resource in learning the Islamic Ummah ever since the previous period. The reason is that the author's life and his systematic efforts had built up a strong atmosphere, a high vigilance against the idea of stagnation and development. Writer contributed much to the development of the Islamic community in this commentary. It emphasized that they (Muslims) would be able to get those powers and honors through Quran and Sunnah. This research aims to introduce the author's personal life, his efforts in various fields and his benefits, and the social and political movements. On the other hand in the terms of method and style of Tafsir Al- Manar, to introduce how Islamic Ummah can be seen that bring innovation to the development shown in importance. The author also because of the innovative and reform leaders in the honorable Cemalettin Afgani and the

* İstanbul Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü İslami Araştırmalar Anabilim Dalı öğrencisi, wapadar777@gmail.com, orcid.org/0000-0003-4212-7459

تقديم:

منذ أن شرف الله (سبحانه وتعالى) هذه الأمة بتزليته كتابه الحكيم (القرآن الكريم) على نبيه الصادق الأمين ورسوله المبعوث رحمة للعالمين عليه الصلاة والسلام؛ قد كان بوصلة الهداية والنجاح للناس أجمعين، وقد تحركت به القلوب النائمة وافتتحت به نوافذها واستارت به آفاق الدنيا وانشرحت به صدور من اهتدى، وهذا النبي الأكرم (عليه الصلاة والسلام) كان يتحمل مسؤولية التبليغ به ويمثل نفسه للقرآن في الناس، حيث أن هياً الله سبحانه لحمل هذه الرسالة العظيمة بدءاً من إصلاح قلبه وشرح صدره به، كما قال الله تعالى: ﴿ألم نشرح لك صدرك، ووضعنا عنك وزرك﴾ (الأنشراح: 1-2)، وهذا خطاب الله يوجهه الله تعالى للأنبياء (صلى الله عليه وسلم) في بداية نزول الوحي إليه لتجهيزه بالحكمة والإصلاح الداخلي لتبليغ الرسالة، وقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يؤديها بشرحها لأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين بأفعاله وأقواله، وقيامه وجلسه، ووقفاته وسكاته، وهم يتلقونه منه فيطبقونه في حياتهم كأنهم قرآن حي يمشي بين الناس.

ولم يزل القرآن (الحكيم) من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل وقت ومكان من بداية نزوله عليه حتى زماننا هذا عزيزاً حكيماً، يعز به من لجا إليه ويصير حكيماً من أوتي نصيبه من حكمته، والعلماء الوارثون لرسول الله صلى الله عليه وسلم يشرحونه بدستورته الخالدة للبشرية بما يحتويه من أسرار ربانية ولطائف عجيبة لا تنتهي، ويوضحون معانيها بأساليب عدة مما ألهمهم الله تعالى في بيان مراده سبحانه وتعالى من تنزيل كتابه الحق المبين.

فمعرفة حقائق هذا الكتاب الحكيم وحكمته ومقاصده والتبحر في معانيه هي غاية كل باحث يريد أن يستكشف من مكوناته التي لا تنضب، ولذلك جاءت نصوص القرآن صالحة لكل زمان ومكان، التي هي إحدى خصائص الشريعة الغراء، فالتطور الذي شهده هذا العصر وتجدد حياة الناس اقتضت أن يكون هذا التجديد موافقاً لتلك الخاصة، شاملاً لكل المجالات في علم العقيدة والفقه والتفسير، فشرح الإسلام التجديد ودعا إليه وفق ضوابط يرتكز عليها، حتى تكون عملية التجديد صائبة في تفسير كتاب الله عز وجل، فهذه الحركة التجديدية في مجال التفسير ليست بالأمر السهل، بل تحتاج إلى علماء جهابذة يملكون آليات الفهم وقوة الاستنباط.

ظهر في القرن التاسع عشر بعض العلماء المجددين مثل: السيد جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وتلميذه الإمام محمد رشيد رضا، فرفعوا راية الإصلاح والتجديد في الدعوة والتعليم والتربية استجابة لمقتضيات العصر ومتطلباته وحاجة المسلمين الماسة للعودة إلى القرآن الكريم الذي أصبح من الضرورة التجديد في التفسير، فجاء محمد رشيد رضا بهذه الضرورة في حينها، وحرص على إيجاد الحل لمشكلة التخلف والرجوع عند المسلمين العرب أولاً، ثم عامة المسلمين في المجتمعات الإسلامية من كتاب الله عز وجل، ووقف به ضد الغرب الحاقد الذي كان يسعى إلى إرجاع المسلمين إلى الخلف ثم يرميهم بالتخلف، وقاومهم به وبحكمته.

masters with Mr. Abdulhammid Han ben a good relationship among. This relationship provided the author information for solving the nation's overall situation and has created hardship and have at the same time the opportunity to understand and predict the state of the community. This research was concluded with three chapters and one result. The presentation of the author; the introduction of Tafsir; and the general situations of the period in which Tafsir was written. Finally, the summary of the important information in the research and the recommendations of the researcher are given.

Key Words: Tafsir Al-Manar, Rashid Riza, Reformation, Innovation, Policy.

MUHAMMED REŞİD RIZA VE EL-MENAR ADLI TEFSİRİ (ANALİTİK ARAŞTIRMA)**Öz**

Tefsiru'l-Menar ve onun yazarı Muhammed Reşid Rıza İslam ümmetinin bir asır önceki döneminden günümüze kadar durumunu öğrenmede önemli bir kaynaktır. Yazarın hayatı ve onun ilmi çabaları gericalik ve düşünce durgunluğuna karşı yüksek bir uyanıklık ve kalkınma atmosferi yaratmıştır. Yazar bu tefsirinde İslami toplulukların gelişmesine oldukça fazla katkı sağlamıştır. Müslümanların güç ve onuru ancak Kuran-Sünnet yoluyla elde edebileceklerini vurgulamıştır. Bu araştırma, yazarın kişisel hayatını, çeşitli alanlardaki çabalarını, ümmete olan faydalarını ve iştirak ettiği sosyal ve siyasi hareketleri konu edinmektedir. Diğer yandan Tefsiru'l-Menar'ın yöntem ve üslup açısından İslam ümmetinin kalkınmasına nasıl bir yenilik getirdiğini tanıtmaya da önem gösterilmiştir. Raesid Rıza'nın Cemalettin Afgani ve Muhammed Abduh ile yakın ilişkisi olduğu bilinmektedir. Bu ilişki yazarın ümmetin genel durumları ve sıkıntılarını çözmesine yönelik bilgi sağlamış ve muasır toplumların vaziyetlerini anlama ve tahminde bulunmaya fırsatı yaratmıştır.

Anahtar kelimeler: Tefsiru'l-Menar, Reşid Rıza, Reform, Yenileme, Politika.

Makalenin Geliş Tarihi: 07.11.2018; Makalenin Yayıma Kabul Tarihi: 06.12.2018

الأهمية العلمية:

- 1- بيان الظروف السياسية والبيئة الاجتماعية التي عاش فيها الإمام محمد رشيد رضا.
- 2- توضيح جهود الإمام محمد رشيد رضا وإسهاماته العلمية في إثراء المكتبة الإسلامية.
- 3- الاستفادة من منهج الإمام وآراءه في تفسير كتاب الله تعالى.

الأهمية العملية:

- 1- محاولة ربط التفسير بواقع الأمة المعاصر.
- 2- الوقوف على المنهج الذي سلكه المؤلف في تفسيره.
- 3- التوسع في علم التفسير ومناهجه المعاصرة والكشف عنها.

أهداف الدراسة:

- 1- التعريف بالإمام ومكانته في مجال علم التفسير وبقية العلوم وتأثيره في إصلاح المجتمع الإسلامي، والإعلام بمكانة تفسير المنار وأثره في الصحوة الإسلامية.
- 2- بيان مميزات تفسير المنار ونقائصه وموضع النقد فيه، والتعريف على البيئات والظروف التي صدر فيها هذا التفسير.

الدراسات السابقة:

- يوجد كثير من المساهمين في هذا المجال العلمي حول هذا التفسير بكتابات ورسائل ومن أهمها:
- 1- منهج تفسير المنار في التفسير، رسالة الدكتوراه في جامعة الخرطوم، 2004م، للباحثة هاجر محمد أحمد شبو، وقد تناولت الرسالة ثلاثة فصول، الفصل الأول في سيرة الإمامين بالتفصيل، والفصل الثاني تحدثت في مصادر التفسير، وأما في الفصل الثالث تكلم في المدرسة المنارية في التفسير واستفدت منه.
 - 2- معالم التجديد في تفسير المنار لمحمد رشيد رضا، رسالة الماجستير للباحث بو حلوفة بدور، هذه الرسالة أيضا ركز فيما أبدع الإمام، من الأساليب والمناهج التي لم يسبق بها من قبله من المفسرين.
 - 3- منهج التعامل مع القرآن في فكر الشيخ رشيد رضا، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، لزياد خليل محمد الدغامين، حاول الباحث كشف منهج المؤلف في ناحية اجتهاده في بيان مقاصد القرآن وتحديد أهدافه عن طريق الوعظ، وانتقده بعشوائية مراجعته.
 - 4- د. أحمد الشرباصي، العقل وتفسير المنار، مجلة الوعي الإسلامي، نوقش فيه مسألة صفة الجنة ومساواة في الإيمان بين شخصين، وخلص.

قدّم الإمام رحمه تعالى فكرة التجديد في الآيات القرآنية في تفسيره الحكيم، ودعا إلى تحريك عقول الناس في فهمها بحيث يقول: «جاء القرآن ليُخْ أُمِّدَ الإلحاح بِالنَّظَرِ الْعُقْلِيِّ، وَالتَّفَكُّرِ وَالتَّدَبُّرِ وَالتَّدَكُّرِ، فَلَا تَقْرَأْ مِنْهُ قَلِيلًا إِلَّا وَتَرَاهُ يَغْرُضُ عَلَيْكَ الْأَكْوَانُ، وَيَأْمُرُكَ بِالنَّظَرِ فِيهَا وَاسْتِخْرَاجِ أَسْرَارِهَا، وَاسْتِجْلَاءِ حُكْمِ إِتْفَاقِهَا وَاجْتِلاؤها»¹ بحكمة القرآن حيث سُمِّيَ تفسيره بـ «تفسير القرآن الحكيم» الذي كان من أكثر الأسماء تكراراً لله عز وجل وللقرآن الكريم، واشتهر فيما بعد بـ «تفسير المنار» نسبة للمجلة التي نشره فيها مؤلفاته العلمية، التي كان لها أثر في حركة الإصلاح الدينية التي أنتجت فيما بعد أمثال حسن البنا وسيد قطب وأبي الأعلى المودودي.

فيعد هذا التفسير امتداداً لما كان عليه الشيخ محمد عبده وأستاذه جمال الدين الأفغاني في المنهج من خلال مجلة «العروة الوثقى»، وصار هذا التفسير مرجعية من يهتم بإسهام المجتمع الإسلامي من جانب الإصلاح الديني والتربوي والفكري والتجديد في كتاباته وأبحاثه، وكثير من المؤلفين والباحثين ألف حول هذا التفسير كتباً ورسائل ومقالات اختلفت في شأنه الإمام للأمة من التوجيهات القيمة والإشارات. ومن أسباب اختياري لهذا الموضوع؛ توسع الإمام في تحليل الآيات من نواحي عدّة، وفتح باب تجديد أساليب التفسير لمن يأتي بعده، وعلاقاته العريضة من علماء الأمة وقادة الحركات الإسلامية وعلاقاته لهؤلاء العظماء، وأيضاً؛ لفت نظري اتصاله الملمم بالشيخ ثابت عبد الباقي داملاً قائد ثورة التركستان الإسلامية في وطني الغربية تركستان الشرقية وحرصه على الذكرى للأمة أن الشعب الأويغور المسلم المظطهد جزء منها قديماً وحديثاً وليس للصين إلا الاحتلال الغاشم عليه، وهذا من خلال المراسلة بين قائد هذا الشعب وهذا المفسر المتبحر، ونشره المقالة عن خلاصة جهاد التركستانيين في مجلته المنار.²

وأنا في هذا المقام سألتخص جهود هؤلاء السابقين وموقع هذا التفسير القيم عند الأمة الإسلامية والبيئة التي جاء الإمام بهذا التفسير كعرض رسالة اتصالية، وخلاصة أهم النقاط من منهجه الذي سار رحمه الله تعالى عليه من خلال استقرائي له بالتقسيم التالي:

- 1- مرسل الرسالة: الإمام محمد رشيد رضا.
 - 2- الرسالة: تفسير القرآن الحكيم/تفسير المنار.
 - 3- المرسل إليهم: المجتمع العربي في عصر الإمام خصوصاً، والأمة الإسلامية عموماً.
- أهمية الموضوع:

1 رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، المجلد الأول، ص: 208، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، 1410هـ/1990م، 1/208.

2 المرجع السابق، ينظر إلى: المقال «روسية ومسلمو تركستان». م 15 (1912) ص 210-212: 256-259. نظام التعليم الجديد في تركستان». أمينة شمس الدينوا. م 15 (1912) ص 391-394. «انقلاب التركستان الشرقي»، ثابت بن عبد الباقي، م 33 (1933) ص 621-624.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى: مقدمة وثلاثة ثلاث نقاط وخاتمة. فالمقدمة هي تمهيد إجمالي للبحث، وأما في النقطة الأولى: سأتناول سيرة المؤلف وجهوده العلمية ونشاطه وتأثيره في المجتمع الذي عاش فيه المؤلف، وفي النقطة الثانية: أصف التفسير وأتناول بيان منهج المؤلف فيه ومزاياه وآراءه العلمية وبعض مراجعه التي راجع إليه، وأما في النقطة الثالثة: أعرض البيئات والظروف التي احتفت بالمجتمع الإسلامي آنذاك وجاء المؤلف بهذا التفسير فيه، ثم تأتي الخاتمة بخلاصة أهم مرتكزات البحث مع ذكر بعض التوصيات.

أولاً: نبذة من حياة الإمام محمد رشيد رضا

تمهيد:

سيرة الشيخ العلامة الإمام العالم مشهورة بين عامة المسلمين، ومع ذلك الوقوف عليها يثير الوجدان ويعلق القلوب لمعرفة المزيد منه، لأن شخصيته تختلف عن بقية الشخصيات في عصره حتى يومنا هذا، لذلك نقطع من جملة حياته ما كان يهمننا التعريف عليه قبل أن نتخطى إلى تفسيره الذي كان منارا في علوم القرآن والتفسير، وفي توسعه لبعض المواد الفرعية في العلوم الشرعية مثل مقاصد الشريعة وعلم السنن الكونية والربانية وسد الذرائع وفتحها. وكان قد عصفت تجارب الدنيا بالشيخ حتى بان له الطريق، فبدأ يبحث الحق عن دليبه ويجاهد من أجل تبليغ دعوة الناس إلى الإسلام الحق، والمناقشة مع البدعة ونشر ما يعتقد أنه الحق، ودرس ورحل ليعكف عند من ينير له الطريق ويوضح له آفاق المعرفة بالدليل، فحياته من مولده إلى وفاته محشوة بالمعارف والتجارب في خدمة القرآن الحكيم ونشر دين الإسلام والدفاع عنه، فإليك ببعض اللمحات من حياته:

1- نسبه ونشأته

هو الإمام العلامة المفسر المشهور بصاحب المنار السيد الإمام محمد رشيد بنعلي رضا محمد شمس الدين بن منلا علي خليفة القلمون، البغدادي الأصل³ الحسيني النسب⁴ يتصل نسبه إلى الإمام علي ابن أبي طالب على حسب ما قال رحمه الله تعالى عن نفسه «جدنا المرتضى عليه السلام»⁵ ويقول: «جدنا الحسيني عليه السلام»⁶ ويقول: «جدنا الإمام جعفر الصادق عليه السلام»⁷. أما والده رشيد فاسمها فاطمة وتنسب إلى البيت النبوي من جهة الأب والأم، فيقول محمد رشيد

3 ينظر في نسبه إلى: الزركلي، الأعلام 361/6، عبد المتعال الصعدي، المجددون في الإسلام، ص 539.

4 رضا، رشيد، محمد، مجلة المنار 73/32.

5 رضا، رشيد، محمد، مجلة المنار 132/13.

6 المرجع السابق 78/15.

7 رضا، رشيد، محمد، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، دار المعرفة-بيروت، ط 2، د ت 51/1، 49/11.

عنها: «فاطمة أم رشيد حسنية الأب والأم»⁸، ويعتقد أن «أحد أجداده قد قدم شط الفرات ولعله من ماردين، واختار الإقامة في قلمون»⁹ وقد ترجم محمد رشيد لنفسه ترجمة حافلة في كتاب «المنار والأزهر»¹⁰ اعتمدت عليها في ترجمتها له مع بعض ما كتب عنه في الكتب الأخرى.

يمكن الاقتصار هنا على هذه السطور التي لخصتها من عدة مراجع:

2-مكان المولد والنشأة والتعليم:

ولد بقلمون من أعمال طرابلس الشام سنة 1282هـ/1865م، ونشأ فيها، وتلقى تعليمه الأولي في الكتاب في قريته وقرأ القرآن الكريم والخط والقواعد والحساب وتهياً لدخول المدرسة الرشيدية،¹¹ ثم التحق بالمدرسة الرشيدية الابتدائية في طرابلس، فدرس الصرف والنحو والحساب ومبادئ علوم الجغرافيا والعقائد وفقه العبادات واللغة التركية والعربية ولكن التدريس فيها باللغة التركية.¹² لمدة عام واحد، ثم انتقل إلى المدرسة الوطنية الإسلامية التي كان مؤسسها الشيخ حسن الجسر¹³ عام 1882م، وفيها عمره حوالي سبعة عشر عاماً، فدرس العربية والتركية والفرنسية، وتعلم المنطق الرياضيات والفلسفة والطبيعة، ونال شهادة منها، وأجازه شيخه حسن الجسر، ثم أخذ الحديث والفقه الشافعي عن الفقيه محمد نشابة،¹⁴ ودرس على يد العلامة عبدالغني الرافي¹⁵ ودرس عليه نيل الأوطار للشوكاني، واستفاد كثيراً من معاشرته في العلم والأدب والتصوف،¹⁶ وتلقى عن شيخه محمد القاوقجي¹⁷ كتابه في الأحاديث المسلسلة، وعن طريقه درس أصول التصوف والترقي في منازل المعرفة.

ثم بعد ذلك سافر إلى مصر في عام 1898م/1315هـ، واتصل بالشيخ محمد عبده، والتحق بالأزهر عام 1899، وتابع فيه دروسه، لأنه «كانت بلاد الشام في النصف الثاني من القرن التاسع عشر قد شهدت الخروج الكثير من أبنائها مع أنها قد شهدت نهضة علمية وأدبية ساهمت في تنوير الأذهان والتشجيع على طلب العلم بحرية أكبر خارجها، ورحيلهم إما إلى مصر وإما إلى أوروبا وتركيا بأسباب عوامل سياسية وغيرها»¹⁸، وبلغ رحمه الله تعالى أثناء هذه المراحل من الفقه الديني

8 رضا، رشيد، محمد، مجلة المنار 73/32.

9 نجات، د. عبد الكريم، وفتات مع محمد رشيد رضا، ص 123.

10 رضا، رشيد، محمد، المنار والأزهر، مطبعة المنار، ط 1353.1 هـ / 133 - 195، وهذا هي الفنون التي ازدهرت في (88) العصر الحديث ويعرف عند الغربيين بـ Biography-Auto.

11 كانت في قلمون عدة مدارس يسمى بـ «الرشيدية».

12 محمد رشيد رضا، المنار والأزهر، ص: 136.

13 حسن الجسر الطرابلسي، عاش خلال عام (1845-1908م).

14 الشيخ محمود ابن الشيخ محمد بن الشيخ عبد الدايم درس في الأزهر إحدى عشر سنة، وتوفي عند ثمانين من عمره، عام 1889م.

15 الشيخ عبد الغني الرافي، فقيه حنفي صوفي، ولد في طرابلس-لبنان، ورحل إلى بلاد الشام ومصر وإسطنبول، وولي الإفتاء طرابلس، ثم قضاء صنعاء وتعز - اليمن، وجمع بين علوم الشريعة والتصوف والأدب.

16 نجات عبد الكريم، وفتات مع محمد رشيد رضا، ص: 125.

17 شمس الدين محمد القاوقجي / القاوشمي الشهير بأبي المحاسن، توفي عام 1888م.

18 نجات عبد الكريم، وفتات مع محمد رشيد رضا، ص: 126.

والتمكن من علوم القرآن الكريم والسنة والخبرة والمعرفة بأحوال زمانه الذي عاش فيه منزلة ما يتخيل أنها لا تتاح لأحد بعده إلا بعد زمن طويل، أو بعبارة أخرى يُخرج الله تعالى للأمة الإسلامية مثله في كل جيل عددا معدودا فقط.¹⁹

3- البلاد التي عاش محمد رشيد رضا فيها:

عاش رحمه الله تعالى في لبنان وسوريا ومصر، وزار الأستانة²⁰ والهند والحجاز وأوروبا وأقطار الخليج، حينما ارتحل إلى مصر وهو عالم مفكر وكاتب متبصر، فصحب الأستاذ الإمام محمد عبده صحبة العالم الصغير للعالم الكبير، فبها سعادة العالم في صحبة العلماء.

4- ميدانه العلمي:

يمكن لنا أن نختصر نشاطه العملي كالتالي:

أ- عمل في مدينة طرابلس بالتدريس والوعظ والتبشير بآرائه الإصلاحية، وكتابة المقالات في جريدة طرابلس، وممارسة التدريس في الجامع الكبير، وفي جامع البشوية في بيروت.

ب- أصدر في القاهرة مجلة «المنار» للرد على المتحاملين على الإسلام، وصدر العدد الأول في مارس 1897م/1315هـ، وكانت خطوة متأثرة بسابقتها «العروة الوثقى» التي عددها بمثابة الأستاذ الثاني له.²¹

ج- حاول إنشاء مدرسة الدعوة والإرشاد بهدف الإصلاح الديني والاجتماعي في الأستانة، غير أن المحاولة فشلت وعاد إلى القاهرة، وأنشأ المدرسة فيها وتخرجت فيها أول دفعة عام 1912م، إلا أنه اضطر لإغلاقها مع بدايات الحرب العالمية الأولى.²²

د- أنشأ في مصر مع بعض العثمانيين «جمعية الشورى العثمانية»، وتولى رئاستها، وأسس لها فروعاً في أقطار مختلفة، ألقى عدة خطب في مناسبات سياسية وثقافية واجتماعية حاثاً أهالي الشام على دعم الحكومة العثمانية الجديدة والمشاركة في الإصلاح السياسي، وكانت الجمعية تنشر منشوراتها باللغة العربية والتركية.²³

هـ- أصدرت الجمعية جريدة تحمل اسمها 1907م، وشارك في عدد من المؤتمرات العربية الإسلامية، وكانت له علاقة بزعماء الإصلاح في أقطار الوطن العربي، وقد كان عضواً في الحزب الاتحاد السوري، وأحد قادة حزب اللامركزية الإدارية، وقد واجه حكم الإعدام بسبب انتمائه إلى

19 أبو الفداء أحمد بن طراد، ترجمة السيد محمد رشيد رضا وفوائده من مؤلفيه (مجلة المنار - تفسير المنار) متجدد 1434/04/29 - 2013/03/11.

20 عاصمة قازاقستان اليوم، أما في ذلك الزمان مدينة من مدن تركستان.

21 المرجع السابق.

22 المرجع السابق.

23 راعد جميل عكاشة، محمد رشيد رضا وجهود الإصلاح والعلمي، ص: 222-223.

هذا الحزب. وكان من أنصار مذهب محمد بن عبد الوهاب الديني، كما كان عضواً مشاركاً في الوفد السوري الفلسطيني إلى جنيف سنة 1921م، وعضواً في اللجنة السياسية في القاهرة سنة 1925م، وكان يعد الضلع الثالث بعد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده.²⁴

5- ميدانه العلمي:

كان له عدة مؤلفات ورسائل ومقالات في مختلف المجالات حسب حاجة المسلمين آنذاك، ونشر معظمها في مطبعة المنار، فمنها:

أ- «تفسير القرآن الكريم»، المشهور بتفسير المنار الذي نحن في سده، وصدر في ثلاثة عشر مجلداً، في عام 1324هـ/1906م، ومن المعلوم أن الشيخ توفي قبل إتمامه التفسير وقد بلغ إلى سورة اليوسف.

ب- «محاورات المصلح والمقلد»، طبع في مطبعة المنار-مصر 1907م.

ج- «الوهابيون والحجاز»، من مطبعة المنار - مصر-1350هـ/1925م.

د- «تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده وخلاصة سيرة جمال الدين الأفغاني» وهو ثلاثة مجلدات، من مطبعة المنار، 1350هـ/1931م.

هـ- «نداء الجنس اللطيف يوم المولد النبوي الشريف»، مطبعة المنار 1351هـ/1932م.

و- «حقوق النساء في الإسلام»، مطبعة المنار 1351هـ/1932م.

ز- «الأزهر والمنار»، مطبعة المنار، 1353هـ/1934م.

ح- «الإمام علي ابن أبي طالب» طبع في مطبعة البايي الحلبي-مصر 1939م.

ط- «أسرار البلاغة» لعبد القاهر الجرجاني: تحقيق وشرح وتعليق.

إضافة إلى ذلك أن هناك عدة خطب ومقالات في موضوعات متنوعة، ورسائل مع الأفغاني²⁵ وغيره، نشر معظمها في مجلة المنار، وكثير شعره في رثاء أعلام عصره، وآراءه الإصلاحية في الدين والدنيا.²⁶

6- جهوده الإصلاحية والعقدية

24 محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، دار المعرفة-بيروت، ط2، دت 51/1، 49/11.

25 يقول الشيخ: توجهت نفسي بتأثير «العروة الوثقى» إلى الهجرة إلى السيد جمال الدين الأفغاني والتلقي عنه، وكان قد جاء إلى الأستانة فكتب إليه بترجمتي ورغبني في صحبته وأنه لا يصدن عنها إلا إقامته في الأستانة... الخ.

26 أبو الفداء أحمد بن طراد، ترجمة السيد محمد رشيد رضا وفوائده من مؤلفيه (مجلة المنار - تفسير المنار) متجدد 1434/04/29 - 2013/03/11، جمعها بهذا الترتيب مستفيداً من مقالة الشيخ هذه.

كان للشيخ محمد رشيد رضا الكثير من الجهود الإصلاحية في المجتمع، والتي حاول من خلالها إصلاح أحوال الأمة الإسلامية وإخراجها مما هي فيه من ضياع الهوية والتخلف الفكري والتعليمي والديني والسياسي، والتبعية والإعجاب بالحضارة الغربية إلى حد التقليد الأعمى والافتتان بها بوحى القرآن والسنة الصحيحة ومنهج السلف الصالح. ويمكن استخلاص أبرز جهودها في إصلاح ونهضة الأمة في ثلاث نقاط، وهي:

أ. الإصلاح التعليمي:

كان الشيخ محمد رشيد رضا حريصاً جداً على إصلاح التعليم في مصر لاسيما التعليم الديني المتمثل بالأزهر آنذاك، فكتب الكثير من المقالات في مجلة المنار ينتقد فيها الوضع التعليمي في مصر، ويحاول إصلاح مناهج التدريس والتعليم في الأزهر من خلال مقالاته وكتابه في مجلته المنار بطريقة النقد تارة ويشير إلى طرق الإصلاح والتطويرية تارة أخرى، ويخاطب المجتمع الإسلامي قائلاً: «من العار على مصر أن تكون على سبيلها البلاد العربية كلها إلى التعليم العصري خالية من مدرسة كلية للعلوم العالية بجميع فروعها، تغنيهم عن الأجنبية الخالية من لغتهم ومن التربية المحلية التي تليق بهم المدارس»²⁷ وكتب أيضاً الكثير من المقالات التي ينتقد فيها التعليم بالأزهر والذي كان في مصر في ذلك الوقت.

ب-الإصلاح الديني:

كان للشيخ محمد رشيد رضا أيضاً جهود واضحة في محاولة إصلاح الواقع الديني للمسلمين في مصر والعالم الإسلامي من خلال مجلته المنار، والتي كان ينادي من خلالها المسلمين بالتمسك في دينهم والاعتصام بسنة نبيهم-صلى الله عليه وسلم-، لقد كان ينادي بوجود تصفية العقيدة الإسلامية من البدع والخرافات والشرك، وتعظيم القبور والتوسل بها.

ولقد انبرى الشيخ رشيد رضا من خلال مقالاته في مجلة المنار بالدفاع عن الشريعة الإسلامية وبيان محاسنها، وأنها صالحة لكل زمان ومكان، وكان يقوم بالرد على كثير من الشبهات والافتراءات التي تحاول الطعن في الإسلام والتقليل من شأنه، والتي كان يثيرها المستشرقون تارة ومن تأثر بالثقافة الغربية من أبناء المسلمين تارة.

ت-الإصلاح السياسي:

كان للشيخ محمد رشيد رضا بالإضافة إلى جهوده في الإصلاح الديني والتعليمي نشاط سياسي بارز، وهو قلما نجده في شيوخ الدين وأهل العلم، وبخاصة في بداية الأمر كان منصبا على تضييق الفجوة التي بدأت تتسع بين العرب والترک، والعمل على تشجيع العناصر التي تكونت من الدولة العثمانية تحت شعار العثمانية على رغم كثرة الأخطاء التي ارتكبتها الحكم العثماني، من كلامه

27 المرجع السابق.

في هذا الموضوع: «إذا سقطت نبى نحن المسلمون كاليهود، وأن اليهود عندهم شيء يخافون عليه، يحفظون به مصالحهم وحاجتهم وهو المال، ونحن لا يبقى عندنا شيء»²⁸ والكلام يعزف الشيخ أنه سياسي فوق سياسة عصره ويرى أبعادا سياسيا وتاريخيا لمستقبل المسلمين، كأنه يقدر ما سيحدث بعد قرن أو قرنين، وكما يشهد رحمه الله تعالى معنا أوضاع المسلمين اليوم.

عمل تحت شعار سلطان الدين واستمرار الخلافة الإسلامية التي ترمي إلى استمرار سلطة الإسلام الدينية والسياسية، وعمل على تقوية الرابطة العثمانية على أنها وثيقة العلاقة بالعقيدة والدين، فلذلك لم يكن غريبا أن يعتز بعثمانية وان يمتدح الدولة بحيث يقول متحدئا عن الأسباب التي دفعته مجلة المنار: «عثمانية المشرب، حميدة اللهجة، تحامي عن الدولة العلية بحق»²⁹ لأنه يرى في ذلك استجابة لمشاعره الإسلامية ولحضور الدولة السياسي.

وكان يكتب الكثير من المقالات السياسية في مجلته المنار والتي حاول من خلالها إيضاح المخاطر التي تحيط بالعالم الإسلامي والعربي، وبيّن فيها الأحوال السياسية في العالم، والتي تدل على حنكة سياسية قلما نجدها عند علماء المسلمين، فكان يكتب ويحلل الأوضاع السياسية، ويدل على هذا مما حدث بينه وبين الحكام العثمانيين ومنعهم نشر العدد الثاني في لبنان والشام، مع أنه يحب الدولة العثمانية دون حكامهم آنذاك، مواقفه ومقالاته على غاية العمق بحيث لو قرأها إنسان لا يعرفه لقال إنه رجل مختص بالسياسة وتحليلها.

رحم الله الإمام محمد رشيد رضا منشئ المنار، ومفسر القرآن الحكيم. فقد خدم أمته داعياً إلى الله ومدافعاً عن دين الله ومرشداً إلى ما ينفع الناس على بصيرة. أفنى في ذلك أربعين عاماً صابراً ثابتاً شأن الراسخين في العلم والمؤمنين، لا تأخذه في الحق لومة لائم، غير هباب ولا وجل على كثرة ما كاد له الحامدون والدجالون والملحدون بضروب الأذى ولم ينالوا منه منالاً لأن ﴿اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (يوسف:52)، فلا ينفذه ولا يسدده، و﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (الحج:38).

ثانيا: التعرف مع تفسير المنار

إن من الواضح أن هذا التفسير يمثل مرحلة جديدة في التفسير المتأخر صدوره، ولا بد من قراءة لكل من يريد فهم القرآن بحكمته ومقاصده، ومراد الله تعالى بتنزيله، بل يمكن الاستفادة منه لكل من يهتم بأصول التفاسير المعاصرة والتعمق فيها، ويعد هذا التفسير مرجعا للباحثين المتخصصين ويستفيد منه كل من يلقي إليه النظرة من عامة المسلمين، وقد كتبت عنه دراسات ومقالات كثيرة، وأكثرها مطبوعة، أشرت إليها في المقدمة في فقرة «الدراسات السابقة»، يمكن الرجوع إليها.

28 عبد الكريم، نجات. وقفات مع محمد رشيد رضا، ص: 126، وينظر إلى الكتاب: العرب الترك في العصر الدستوري، ل برو.

29 مجلة المنار، افتتاحية من العدد الأول.

وسألخص هنا أهم ما ارتكز المؤلف عليه في هذا التفسير في أربع نقاط جمعاً واستفادة من تلك المراجع في السطور التالية:

1- توصيف إجمالي للتفسير

أصل هذا التفسير دروس شفهية بدأها الشيخ محمد عبده في غرة محرم 1317هـ باقتراح أستاذه الإمام محمد رشيد رضا والحاحه بعد مجيئه إلى القاهرة، واستمرت هذه الدروس حتى عام 1323هـ وتوقف عند الآية 125 من سورة النساء، وكان يحررها الشيخ محمد رشيد رضا وينشرها في مجلته «المنار» ولذلك سمي التفسير ب تفسير المنار وإلا فاسم التفسير تفسير القرآن الحكيم.

وقد واصله الشيخ محمد رشيد رضا بعد وفاة أستاذه محمد عبده وكتب بنفسه، وتغير أسلوبه تدريجياً واقترب من أصول التفسير، أكثر وكان يقول الشيخ رحمه الله تعالى معبراً عن أسباب هذا التغيير: «وإنني لما استقلت بالعلم بعد وفاته خالفت منهجه رحمه الله بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة، سواء كان تفسيراً لها أو في حكمها، وفي تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية والمسائل الخلافية بين العلماء، وفي الإكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة...»³⁰، وبلغ به الآية 101، أي: قول الله تعالى: «رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث، فاطر السماوات والأرض، أنت وليي في الدنيا والآخرة، توفي مسلماً وألحقتي بالصالحين» (يوسف: 101) ثم توفي، فأكمل سورة يوسف تلميذه محمد بهجت البيطار.³¹

2- وصف التفسير

يصفه المؤلف رحمه الله تعالى بأنه: «هو التفسير الوحيد الجامع بين صحيح المأثور وصريح المعقول، الذي يبين حكم التشريع وستن الله تعالى في الكون والإنسان، وكون القرآن هداية للبشر في كل زمان ومكان، ويوازن بين هدايته وما عليه المسلمون في هذا العصر، وعرضوا عليهم ما كان عليه سلفهم المعتصمون بحبلها، مراعى فيه السهولة في التعبير، متجنباً مزج الكلام باصطلاحات العلوم والفنون، بحيث يفهمه العامة، ولا يستغني عنه الخاصة؛ وهذه هي الطريقة التي جرى عليها في دروسه في الأزهر حكيم الإسلام الأستاذ الإمام محمد عبده، رضي الله تعالى عنه.»³²

منهجه في التفسير

يقول الإمام طاهر بن عاشور رحمه الله تعالى عنه فيه: «إن تفسير المنار في جملته يعتبر تفسيراً ذا منهج مطرد، وأفكار متناسقة، وهذا المنهج المطرد قد يقع الاتجاه إليه من مسالك البحوث الأصلية النظرية أحياناً، وقد يقع الاتجاه إليه من مسالك النقول الأثرية تارات أخرى. فإذا وصلت

30 محمد رشيد رضا، مقدمة تفسير المنار، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، تاريخ النشر: 1990م.

31 العلامة المشهور محمد بهجت البيطار أحد أبرز وأشهر تلاميذ الشيخ جمال الدين القاسمي، ولد عام 1894م بدمشق، وتوفي 1396 جمادى الأولى 30/1976م مايو 29م.

32 المرجع السابق، بتصرف بسيط.

هذه المسالك أو تلك بمحرر التفسير إلى المنهج المخطط للسير، التزمه واستقام عليه، حتى يصل منه إلى نتائج البحث أخرى عند آيات أخرى على ذلك المنهج نفسه، فبرزت من مجموع ذلك الوحدة التي جعلت من تفسير المنار مداد روح النهضة الإسلامية الحديثة وقوام التفكير الإسلامي المجدد، في هذا القرن الرابع عشر،³³ عقب مقارنته منهج المؤلف رحمه الله تعالى ما قبل تغيير أسلوبه وما بعده.

وأما في تفسير الآيات العقدية؛ لم يكن الإمام رحمه الله تعالى حاسماً منذ البداية في موقفه إزاء تفسير الآيات الكريمة المتعلقة بالله تعالى وصفاته، وأمور الغيب بشكل عام، حيث كان «بتأرجح بين موقف السلف والخلف، أي بين موقف التنزيه مع التفويض من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تأويل، وبين موقف التنزيه مع التأويل فيما يتعلق في تفسير هذه الآيات الكريمة، حتى حسم موقفه بوضوح إزاء هذه القضايا بسبب إقباله الكبير على قراءة كتب أئمة الفكر السلفي، وعلى رأسهم ابن تيمية، وتبينه لموقفهم بشكل كامل، مع الاحتفاظ لنفسه بذكر بعض تأويلات محمد عبده، وعلماء الخلف، وتأويلات خاصة به أحياناً، بسبب اقتناعه بضرورة هذه التأويلات في إقناع أصحاب الثقافة المادية والفلسفية الذين لا يقبلون التسليم بأمور الغيب كما وردت النصوص بها دون تأويل يُزيل التعارض الظاهري بينها، وبين العقل.»³⁴

فهو مؤمن إيماناً تاماً بمنهج السلف في تفسير آيات الغيب، إلا أنه قدّم بعض التنازلات، عن قناعة وإدراك منه لما يفعل، حيث يقول رحمه الله تعالى: «وينبغي أن تعلم أيها القارئ المؤمن أن من الخير لك أن تظن قلباً بمذهب السلف، ولا تحفل بغيره، فإن لم يطمئن قلبك إلا بتأويل يرضاه أسلوب اللغة العربية، فلا حرج عليك، فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها، والذي عليك قبل كل شيء أن توقن بأن كلام الله كله حق، وألا تؤول شيئاً منه بسوء قصد، والتفسير الموافق للغة العرب لا يُسمى تأويلاً، وإنما يجب معه تنزيه الخالق، وعدم تشبيه عالم الغيب بعالم الشهادة من كل وجه.»³⁵

في هذا المجال إرضاءً لنزعة الإصلاحية التي قضت عليه هنا بسرد بعض التأويلات من أجل أن يكسب أنصاراً جديداً للإسلام من بين قرائه من ذوي الثقافة العصرية، ومن أبناء المؤسسات التعليمية الحديثة الذين بدأوا يهيمنون على مقاليد الحياة السياسية والثقافية في عصره.

أسلوب محمد رشيد رضا في تفسير المنار إذا تبتعنا تفسير المنار بدقة نحن لا نستطيع أن نقرر -بشكل قاطع- أن للشيخ أسلوباً موحداً اتبعه في كامل تفسيره، لأنه فسر ما فسر في مدة تزيد على ثلاثين عاماً ما بين (1899/1317هـ) و(1935/1354م)، وهذه مدة تمنع على الأرجح أي مفسر من

33 الإمام محمد طاهر بن عاشور، في «التفسير ورجاله» سنة 1940، تاريخ التحرير والنشر: 2015 أغسطس 11م.

34 ينظر تعليق عبد الرحمن الشهري في مقاله: «قراءة في منهج رشيد رضا في تفسير المنار وموقف النقاد منه»، الموقع الإلكتروني: ملتقى أهل التفسير، تاريخ النشر: 11/11/2009م.

35 رضا، رشيد، محمد، تفسير المنار، 1/ 252، 253.

اتباع خطة تفصيلية موحدة يلتزم بها في كل ما يفسره، ولكنه رحمه الله تعالى حاول استخدام وسائل التفسير من النكت الفنية لاستخراج الحكم القرآنية بها بشكل إجمالي، حيث أنه يقول: «فعلّم مما ذكرنا أن التفسير قسمان:

أ- جاف مبعد عن الله وعن كتابه، وهو ما يقصد به حل الألفاظ وإعراب الجمل وبيان ما ترمي إليه تلك العبارات والإشارات من النكت الفنية، وهذا لا ينبغي أن يسمى تفسيراً، وإنما هو ضرب من التمرين في الفنون كالنحو والمعاني وغيرهما.

ب- التفسير الذي قلنا: إنه يجب على الناس-على أنه فرض كفاية-هو الذي يستجمع تلك الشروط لأجل أن تستعمل لغايتها، وهو ذهاب المفسر إلى فهم المراد من القول، وحكمة التشريع في العقائد والأحكام على الوجه الذي يجذب الأرواح، ويسوقها إلى العمل والهداية المودعة في الكلام، ليتحقق فيه معنى قوله: (هدى ورحمة) ونحوهما من الأوصاف.³⁶

وخرج من القيود في منهج التفسير بحيث أنه يوصف بالمأثور مرة ويوصف بالمعقول تارة أخرى، فالمقصد الحقيقي وراء كل تلك الشروط والفنون هو الانتهاء بالقرآن، كما يقول رحمه الله تعالى: «قال الأستاذ الإمام يقصد به شيخه محمد عبده: وهذا هو الغرض الذي أرمي إليه في قراءة التفسير».³⁷

فيتضح من خلال هذه العجالة: أن الإمام محمد رشيد رضا في مبدأ الأمر يتابع أستاذه الإمام محمد عبده في دروسه التي يلقيها على جمهور من الطلبة والمثقفين المصريين في الجامع الأزهر، وكان الشيخ يدون خلاصة أفكار الدروس في مذكراته الخاصة، ثم يحرر هذه المذكرات، ويضيف عليها من كتب التفسير الأخرى، ومن أفكاره الخاصة به، ويعرضه على شيخه محمد عبده ليأخذ الموافقة عليه، ثم ينشرها في مجلة المنار.

إن الإمام ليس مستقلاً في منهجه، بل يجمع بين ما عنده وما يأخذ من شيخه، وخاصة بعد أن بدأ بنشر تفسيره على صفحات مجلته التي يقرأها جمهورٌ عريض من المسلمين في معظم بلاد العالم الإسلامي آنذاك، فرض على رشيد رضا أن يستجيب أكثر لحاجات هذه الجماهير العريضة المتعطشة للهداية، والثقة بالدين وأحكامه وأكثر مما فعل عبده، وقد تجلّت هذه الاستجابة في مظاهر عدة، أهمها ازدياد حضور النزعة الإصلاحية في التفسير، التي ازدادت وضوحاً وجلاءً من خلال الفصول الإصلاحية الاستطرادية الكثيرة التي كتبها رشيد، وأدرجها في تفسيره دون أن تكون هناك دائماً حاجة واضحة لذكرها في المواضع التي ذُكرت فيها في التفسير.

الفترة التي استقل وانفرد المؤلف بمنهجه وأسلوبه في التفسير، وهذا بعد وفاة أستاذه الشيخ محمد عبده. ففي هذه الفترة توسع منهجه إلى أنه يفسر الآيات وما يتعلق بها من السنة الصحيحة،

36 المرجع السابق.

37 المرجع السابق.

في تفسير السنة من ناحية حكمها وتحقيق مفرداتها أو الجمل اللغوية، والمسائل الخلافية بين العلماء، والإكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة.³⁸

يمكن لنا من كلامه هذا: أن الإمام قام بعد استقلاله بالعمل بتضييق فسحة حرية النظر اللغوي، والعقلي المستقل التي كان يمنحها شيخه محمد عبده لنفسه أثناء تفسيره لصالح توسيع دائرة الاستناد على النصوص الشرعية: قرآناً وأسنّة، وعلى أقوال السلف، بالإضافة إلى زيادة الاعتماد على تفريع الفقهي، والتوسع الكلامي اللغوي.

3- مواقع الاختلاف بينه وبين شيخه محمد عبده في التفسير

يمكن لنا أن نلخصها في النقاط التالية:

أ- أن شيخه محمد عبده كان منهجه يتوسع فيما فُسر فيه المفسرون وغفلوا عنه، ويختصر ما برزوا فيه من مباحث الألفاظ، والإعراب، ونكت البلاغة، وفي الروايات التي لا تدل عليها ولا تتوقف على فهمها الآيات، ويستند في ذلك على عبارة تفسير الجلالين الذي هو أوجز التفاسير، فكان يقرأ عبارته فيقرأها أو ينتقد منها ما يراه منتقداً، ثم يتكلم في الآية أو الآيات التي نزلت بمعنى واحد، بما فتح الله عليه مما فيه هدية أو عبرة.³⁹

ب- كان رشيد رضا يدون أهم ما يسمعه من الشيخ في مذكرات خاصة في أثناء الدروس عنده، ثم يبدأ بنشر ما كان يجمعه، ولم يكنف بالنقل عن شيخه، وتدوين أفكاره وآراءه في أثناء حياته فقط، بل كان يضيف زيادات كثيرة إلى كل ذلك، ويميّز أقواله عن أقوال شيخه بقوله: «وأقول»، «وأنا أقول»، «وأنا أزيد»، «وأنا أزيد» في معظم الأحيان.⁴⁰

يبدو من خلال هذا أن التفسير قد انتشر إلى آفاق العالم الإسلامي بعد وفاة شيخه محمد عبده وازداد عدد القارئ به فأحس الإمام رشيد رضا حاجة جمهور المسلمين، واستجاب حاجاتهم المتعطشة للهداية والثقة بالدين وأحكامه بأكثر مما فعله أستاذه محمد عبده. وقد ظهرت هذه الاستجابة في عدة مظاهر، منها:

- اعتماده أسلوباً في الكتابة بعيداً عن لغة التجريد والتنظير والمصطلحات والمفاهيم الدقيقة التي تعلق عن مستوى عامة قرائه، وفي المقابل سعى إلى مراعاة السهولة والجمال في التعبير.

- ازدياد حضور النزعة الإصلاحية في التفسير، التي ازدادت وضوحاً وجلاءً من خلال الفصول الإصلاحية الاستطرادية الكثيرة.

38 رضا، رشيد، محمد، مقدمة المجلد الأول، ص: 16 بتصرف بسيط.

39 رضا، رشيد، محمد، مقدمة المجلد الأول، ص: 16 بتصرف بسيط.

40 تفسير المنار وموقف النقاد منه. وينظر إلى قول الإمام في المقدمة نفسه 16/1، دار الكتب العلمية، مصر، 1990م.

ويظهر هذا التحول أيضاً: من خلال كثرة نقولاته الطويلة أحياناً، من مصادر التفسير بالأثر، وبشكل خاص: التفسير الطبري والبعوي وابن كثير والسيوطي، وكذلك نقله من مصادر التفسير اللغوي، وبشكل خاص: تفسير الكشاف، بالإضافة إلى اعتماده على أمهات معاجم اللغة مثل لسان العرب لأبن المنظور ومقاييس اللغة لأبن فارس، فضلاً عن اعتماده على معاجم ألفاظ القرآن الكريم، مثل: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني.

5- مميزات التفسير

I. وثيقة الاستدلال في تفسير الآيات، وترتيب الأدلة في التفسير بحيث أن الإمام رحمه الله كان يلجأ في تفسيره إلى:

- للآيات الكريمة إلى القرآن الكريم نفسه أولاً، مؤكداً أن «الآيات يفتى بعضها بعضاً إذا نحن أخذنا القرآن بجملة كما أمرنا»⁴¹ وأمثال هذا كثير في أن تركيزه في وحدة الموضوعية بجمع آيات كثيرة تتعلق بالموضوع المعين ثم ربط بينها به وتحليلها بأسلوب متماسك، كتفسيره بداية سورة الفاتحة بجمع الآيات التي تذكر الحمد والثناء من السور كافتتاح سورة الأعمام وسورة الكهف وغيرها.

- ثم كان يلجأ بعد ذلك كما صرح هو إلى «سنة رسول صلى الله عليه وسلم، وما جرى عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين في الصدر الأول،

- بأساليب لغة العرب، والأخذ بطرق اللغة العربية في دلالة الألفاظ، والتركيب على المعاني.

II. ربط معاني الآيات ب «سُنن الله في خلقه»⁴² وهذا هو الالتزام بالمنطق الداخلي المتماسك، والمنسجم للنص القرآني، والاعتصام بعواصم الأثر والخبر الصحيح، ومقتضيات العقل السليم من خلال تحكيم سنن الله تعالى العاملة في الكون والتاريخ، واعتبارها إحدى مرجعيات، ومعايير التفسير السليم. مثل ما توقف الإمام محمد عبده أمام الآية القرآنية الكريمة: «كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين» {البقرة: 213}، من أجل أن يبرز جوانب «السنن الإلهية» المستفاد منها، حيث قال: «أنا لا أعقل كيف يمكن لأحد أن يفسر الآية وهو لا يعرف أحوال البشر، وكيف اتحدوا؟ وكيف تفرقوا؟ ... أجمل القرآن الكلام عن الأمم، وعن السنن الإلهية، وعن آياته في السماوات والأرض، وفي الآفاق والأنفس، وهو إجمال صادر عن أحاط بكل شيء علماً، ... ويعلق الإمام محمد رشيد رضا على ذلك بالقول في الهامش: «كتب الأستاذ الإمام، رحمه الله تعالى، تفسيراً لهذه الآية، جاء فيه بما لا يوجد في كتاب»⁴³ وهذا دليل للفقرة السابقة واللاحقة، من تركيزه في الوحدة الموضوعية وتربطها وربط المحاضر إلى زمن نزول الوحي وواقعيتها فهما وتطبيقاً.

41 محمد رشيد رضا، تفسير المنار، 2/259، دار الكتب العلمية، مصر، 1990م.

42 محمد رشيد رضا، تفسير المنار، 6/167، دار الكتب العلمية، مصر، 1990م.

43 عبد الوهاب، محمد حلمي، السنن الإلهية في مشروع الإمام محمد عبده التجديدي، مقال في نسخة إلكترونية. موقع أون لاين Islam online.net/22105. https://islamonline.net/22105.

III. رعاية الترابط بين الموضوعات وربط المناسبة بين الوجدتين، لأن الإمام رحمه الله كان حريصاً جداً في بداية تفسير كل مجموعة من الآيات الكريمة، أن يربط هذه الآيات ربطاً منطقياً محكماً بمجموعة الآيات التي تسبقها، أو بموضوع السورة الرئيسي الذي تتحدث عنه مجمل آيات السورة، وبذلك عمل رشيد رضا على إبراز الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، والسياق الواحد الذي يؤلف بين آياتها.⁴⁴

IV. التركيز على وحدة الموضوع في تقسيم وحدات الآيات وتحليل القضايا، فكان رحمه الله تعالى حريصاً عندما تتعرض الآية التي يفترها لقضية ما، أن يسرد ويحلل بشكل موجز معظم الآيات الكريمة الأخرى التي تتحدث عن القضية نفسها، وبذلك يكون رضا من أوائل من تبنه لأهمية التفسير الموضوعي للقرآن الكريم في العصر الحديث.

V. توثيق المعلومات وربط الحاضر إلى زمن نزول الآيات في فهمها باعتمادها أسباب النزول، وذلك أنه رحمه الله تعالى كان معنياً «بذكر أسباب النزول وتمحيص الروايات الواردة فيها، كما كان مهتماً بذكر القراءات القرآنية عند وجودها»⁴⁵ كما كان حريصاً أيضاً على «ذكر الأحاديث النبوية التي تدور في فلك الآية أو الآيات التي يفسرها، ولم يغفل عند ذكره هذه الأحاديث، عن التعليق عليها، ونقد أسانيدنا، وتمحيص رواياتنا، هذا فضلاً عن تخريجها، وعزوها إلى مصادر الحديث المعتمدة»⁴⁶

VI. رونق الكلام ودقة التعبير والجمل وعدم التطويل والحشو، بأن «لم يتوسّع في نقل أقوال النحاة، وعلماء البلاغة في إعراب الآيات القرآنية الكريمة، ووجه البلاغة فيها إلا ما كان منهما ضرورياً لبيان معنى الآيات، وجمال الأسلوب القرآني، ودقة التعبير فيها»⁴⁷ وكان هدفه من هذا «الاقتصاد هو ألا يشغل القارئ عن وجوه الهداية، والإصلاح في معاني الآيات المفسرة، وهي مقصده الأول من التفسير، كما كان ذلك مقصود شيخه محمد عبده من تفسير القرآن»⁴⁸.

وبشكل عام، فإن رشيد رضا لم يكن يكثر النقل عن العلماء السابقين في المجلدات الأولى من تفسيره، ولكنه وابتداءً من المجلد السابع، بدأ يكثر، وينقل بإسهاب من الكتب والتفسيرات السابقة،

44 ينظر على سبيل المثال تقريره لارتباط آية الذين الطويلة بما سبقها من آيات الحث على الصدقة وتحريم الربا في آخر سورة البقرة، تفسير المنار، 118/3-119. وانظر أيضاً، 4/122، 4/123، 256، 257، 434، 435. عبد الرحمن الشهري، المقال: «قراءة في منهج رشيد رضا في تفسير المنار وموقف النقاد منه»، الموقع الإلكتروني: ملتقى أهل التفسير، تاريخ النشر: 1/11/2009م.

45 محمد رشيد رضا، تفسير المنار، 1/167، 3/248، دار الكتب العلمية، مصر، 1990م.

46 ينظر على سبيل المثال، تفسير المنار، 3/82-91. وينظر أيضاً، شفيق، شفيق، موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث الشريف: دراسة تطبيقية على تفسير المنار، (بيروت، المكتب الإسلامي، ط1، 1419هـ/1998م)، 275، 408.

47 محمد رشيد رضا، تفسير المنار 10/524، دار الكتب العلمية، مصر، 1990م.

48 ينظر تعليق عبد الرحمن الشهري في مقاله: «قراءة في منهج رشيد رضا في تفسير المنار وموقف النقاد منه»، الموقع الإلكتروني: ملتقى أهل التفسير، تاريخ النشر: 1/11/2009م.

ج- بعد أن ناقش الإمام مفهوم النبي والرسول لغة أثنى باستشهادات من الكتب السابقة من التوراة والإنجيل والذبور لتعريفه اصطلاحاً، وقال: «أن النبي عند أهل الكتاب يطلق على: المهلم الذي يخبر بشيء من أمور الغيب المستقبلة» وقال: «قيل معنى أصل مادته في العبرانية القديمة: المتكلم بصوت جهوري مطلقاً، أو في الأمور التشريعية»؛ فعرض له بعض النهم مع أنه دحض مدعي النبوة بعد النبي عليه الصلاة والسلام.⁵³

7- مصادر التفسير ومراجعها

رجع الإمام محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى أثناء تفسيره إلى كل ما يمكن الرجوع إليها من مصادر أهل السنة والجماعة، فيمكن خلاصتها في أربع:

- أ- المصادر والمراجع في تفسير القرآن
 - تفسير الطبري (310هـ)؛ «جامع البيان في تأويل أي القرآن» لأبي جعفر محمد بن جرير يزيد الطبري.⁵⁴ كتابة تاريخ الوفا بعد ذكر اسم العالم.
 - إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي.⁵⁵
 - تفسير الزمخشري «الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل»، وهذا من أشهر التفاسير المعتزلة.⁵⁶
 - تفسير الرازي⁵⁷ «مفاتيح الغيب» قد عرف بـ «التفسير الكبير»، لأنه من أوسع التفاسير وأصحها.

53 د. عكاشة. رائد جميل، محمد رشيد رضا: جهوده الإصلاحية ومنهجه العلمي، ص: 105. نسخة إلكترونية، جامعة آل البيت، المعهد العالمي للفكر الإسلامي. وهنا كتاب مطبوع للشيخ تامر محمد محمود متولي بعنوان: منهج محمد رشيد رضا في العقيدة بفصل المسألة تفصيلاً.

54 الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد كان إماماً في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ، وله مصنفات 155 عديدة منها: «تاريخ الأمم والملوك» وكتاب في التفسير «جامع البيان في تأويل أي القرآن» واختلاف الفقهاء، تهذيب الآثار، وبعض كتبه مطبوع محقق متداول وربما كان بعضها مخطوطاً وربما ضاع بعضها (ت310هـ). ينظر ترجمته: ابن خلكان: وفيات الأعيان 191/4-192، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب 162/2، الذهبي: تذكرة الحفاظ ص 710، الذهبي: ميزان الاعتدال 418/3.

55 أبو حامد محمد بن محمد أحمد الغزالي، الملقب بحجة الإسلام، الطوسي، الفقيه، الشافعي، ولد بطوس 450هـ، صنف 169، في عدة فنون: «الوسيط»، «اليسيط»، «إحياء علوم الدين»، «أفت الفلاسفة»، «المستصفى من علم الأصول» وغيرها (ت505هـ). وينظر ترجمته: ابن خلكان: وفيات الأعيان 58/4-60، السبكي: طبقات الشافعية.

56 هو أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري، الإمام في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان، ولد بزمخشري من خوارزم سنة 467هـ له تصانيف كثيرة منها: «الكشاف في تفسير القرآن»، «أساس البلاغة»، «المفصل في النحو» و«الغلق في غريب الحديث». كان معتزلي الاعتقاد متظاهراً به، (ت 538هـ). ينظر ترجمته: السيوطي، طبقات المفسرين 314/2، ابن خلكان: وفيات الأعيان 168/5-173، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب 121/4.

57 هو أبو عبد الله محمد بن عمر القرشي الطبرستاني الأصل، الشافعي، المفسر، المتكلم، ولد سنة 543هـ، إمام وقته في (224) العلوم العقلية، وأحد الأئمة في العلوم الشرعية، له عدة مصنفات منها «تفسير القرآن»، «مفاتيح الغيب»، «المحصل في علم الأصول»، «غاية العقول»، و«مناقب الشافعي» وغيرها (ت 606هـ). ينظر ترجمته: الداودي، طبقات المفسرين 215/2-218، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب 21/5-22، ابن خلكان: وفيات الأعيان 248/4-252.

وخصوصاً كتب ابن حزم (ت 456هـ)، والغزالي (ت 505هـ)، وفخر الدين الرازي (ت 606هـ)، وابن تيمية (ت 728هـ)، وابن قيم الجوزية (ت 751هـ)، وابن كثير (ت 774هـ)، والشاطبي (ت 790هـ). كما أنه «رجع إلى خمسة وعشرين تفسيراً؛ لكي يجد تفسيراً مناسباً لآية: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا﴾ (النساء: 43)».⁴⁹

VII. واقعية المضامين، بأن قام بـ «ربط تفسير الآيات ومضمونها بواقع المسلمين ومشاكلهم السياسية والاجتماعية، واتخذ من تفسير الآيات وسيلة لتنبه المسلمين، وتذكيرهم بالواجبات الملغاة على عاتقهم، وكثيراً ما كان يستفيد من هذا الربط، ويقوم بالانتقاد الشديد لمعظم علماء وشيوخ عصره الذين تمسكوا بالتقليد، وابتعدوا عن الاجتهاد، ولم يقوموا بدورهم في تذكير المسلمين، وربط حياتهم بالقرآن الكريم، والسنة الصحيحة».⁵⁰

VIII. تلخيص الخلاصة لكل الوحدة، حيث كان حريصاً في نهاية تفسير كل سورة تقريباً على «كتابة خلاصة إجمالية لأحكامها، وقواعدها، ومقاصدها»⁵¹ يركز فيها بشكل خاص على «السنن الإلهية الكثيرة التي أوردتها في ثنايا الآيات المفسرة»⁵² بحيث يمكننا القول: إن استنباط السنن الإلهية في الخلق والتكوين، وفي الاجتماع وال عمران البشري، وشؤون الأمم من القرآن الكريم، من أهم وأبرز السّمات والخصائص التي تميّز تفسير المنار بها عن مختلف التفاسير الأخرى.

6- نقد التفسير ومواضعه

هذا التفسير لم يخلو من النقد، وإن كان له مميزات كثيرة ولطائف دقيقة لم يتطرق إليها من سبق من المفسرين، ولم يستوعب بها من لحق من العلماء، واسترشد منها الأمة الإسلامية في صحتها الإسلامية فأما نقده غالباً ما يكون في تفعيل العقل في فهم الآيات فهناك بحث خاص في هذه الموضوع ذكرته في المقدمة -فقرة الدراسات السابقة- يمكن الرجوع إليه. من أبرز النقاط عند النقاد:

أ- الميول إلى الوهابية والسلفية التي ظهرت واضحة في تفسير المنار.

ب- إنكاره لكثير من الكرامات التي يدعيها شيوخ الطرق الصوفية، كما تصدى الشيخ الأزهرى المتصوف يوسف الدجوي (ت 1946م) بحملة صحفية قوية ضد الإمام على صفحات مجلة الأزهر آنذاك «نور الإسلام»، واتهمه باتهامات خطيرة مثل: إنكار الملائكة والجن، وإنكار بعض المعجزات، رده بعض الأحاديث الصحيحة.

49 تحكيم الفكر والنظر في استخدام المنهج العلمي، مقال في نسخة إلكترونية من الإنترنت.

50 محمد رشيد رضا، تفسير المنار، 318، 98، 4، دار الكتب العلمية، مصر، 1990م.

51 وصف رشيد رضا عمله هذا بأنه «أشق عمل في التفسير، ولم أسبق لمثله». أرسلان، شكيب، السيد رشيد رضا أو إحياء أربعين سنة، دمشق، مطبعة ابن زيدون، ط1، 1356هـ/1937م. وينظر تعليق عبد الرحمن الشهري في مقاله: «قراءة في منهج رشيد رضا في تفسير المنار وموقف النقاد منه»، الموقع الإلكتروني: ملتقى أهل التفسير، تاريخ النشر: 11/11/2009م.

52 محمد رشيد رضا، تفسير المنار، 9 / 559 - 585، دار الكتب العلمية، مصر، 1990م.

- تفسير البيضاوي «أنوار التنزيل وأسرار التأويل».
- مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية خاصة في محاربة البدع والخرافات.
- مؤلفات ابن القيم الجوزية.
- تفسير ابن كثير⁵⁸ «تفسير القرآن العظيم» ويعتبر من أعظم التفسيرات بالمأثور بعد تفسير الطبري.

- مؤلفات الإمام السيوطي «الدر المنثور» و«الإتقان في علوم القرآن» و«تفسير الجلالين» ولباب النقول في أسباب نزول».
- تفسير شهاب الدين الألوسي «روح المعاني للألوسي»⁵⁹.

ب- المصادر والمراجع في الحديث

يعتبر الحديث من مصادر التفسير المعتمدة عند أهل العلم فقد بينت السنة النبوية كثيراً من القرآن معنى ولفظاً. وهي:

- صحيح البخاري: واسمه «الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه» لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري.⁶⁰
- صحيح مسلم: لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري.⁶¹
- سنن ابن ماجه: للإمام أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني.⁶²
- سنن أبي داود: للإمام سليمان بن الأشعث السجستاني.⁶³

- 58 دمشق، إسماعيل بن عمر بن كثير بن زرع، ولد في دمشق سنة (701هـ) أخذ عن ابن تيمية وقد نبغ في علوم كثيرة، وله عدة مصنفات: «تفسير القرآن العظيم»، «البداية والنهاية في التاريخ» و«الباعث الحثيث في علوم الحديث» وغيرها (ت774هـ).
- 59 م الألوسي، محمود بن عبد الله البغدادي الحنفي، مفتي بغداد وعالمها في القرن الثالث عشر الهجري، ولد سنة 1217هـ، له (289 مؤلفات عديدة، «روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني» جمع فيه خلاصة كل التفاسير السابقة وآراء السلف وأقوال الخلف (ت1270هـ). انظر ترجمته: الأعلام 53/8-54.
- 60 هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، الحافظ الإمام في الحديث ولد سنة 194هـ (ت256هـ) 297
- ينظر ترجمته: ابن خلكان: وفيات الأعيان 188/4، ابن العماد: شذرات الذهب، ص: 134/2.
- 61 النيسابوري، القشيري، أبو الحسن، مسلم بن الحجاج. ولد سنة 204هـ (ت 261هـ) انظر ترجمته الذهبي، تذكرة الحفاظ.
- 62 أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، ولد سنة 206هـ (ت 273هـ) انظر ترجمته ابن خلكان: وفيات الأعيان: 4/279: ابن العماد: شذرات الذهب 174/2.
- 63 السجستاني، سليمان بن الأشعث. ولد سنة 202هـ (ت 275هـ).

- سنن الترمذي: للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي.⁶⁴
- سنن النسائي: للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي.⁶⁵
- سنن الدار قطني: للإمام أبي الحسن علي بن عمر الدار قطني.⁶⁶
- سنن البيهقي: للإمام أبي بكر بن الحسين بن علي البيهقي.⁶⁷

ج- مصادره من كتب الفقه:

الاهتمام بالمسائل الفقهية بعد من الجوانب المهمة في التفسير اشتغل بها المفسرون قديماً وحديثاً. وقد حفل تفسير المنار بذكر الكثير من كتب الفقه وأصوله، ومعالجة العديد من القضايا الفقهية، وقد تردد أسماء كثيرة من الفقهاء الذين استفاد منهم كل من الإمام محمد عبده والشيخ محمد رشيد إذ تأثراً بهم ونقل عنهم، فمن هؤلاء:

- الإمام أبو حنيفة.⁶⁸
- الإمام مالك.⁶⁹
- الإمام الشافعي.⁷⁰
- الإمام أحمد بن حنبل.⁷¹

فقد استفاد الإمام محمد عبده والشيخ محمد رشيد من هؤلاء الأئمة كثيراً ونقل عنهم العديد من المسائل المختلفة، ولم يكونا يتقيدان بمذهب معين، فتارة يرجحان مذهب الشافعية، وتارة يرجحان المالكية.

- 64 الترمذي، أبو عيسى، محمد بن إدريس. الحافظ، المشهور ولد سنة 206هـ (ت 279هـ). ابن خلكان 274/4، ابن العماد: شذرات الذهب 174/2.
- 65 النسائي. أحمد بن شعيب، أبو عبد الرحمن، الحافظ من خراسان ولد سنة 215هـ.
- 66 أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد الدار قطني، الحافظ، كان عالماً فقيهاً على مذهب الشافعي ولد سنة 306هـ.
- 67 أحمد بن الحسين علي أبو بكر البيهقي، فقيه شافعي الأصول، من مصنفاته، «السنن الكبرى» و«السنن الصغرى» و«دلائل النبوة»، (ت 458هـ)، الزركلي، الأعلام 116/1.
- 68 هو النعمان بن ثابت التميمي بالولاء، الكوفي، الإمام الأكبر، أصله من فارس، ونشأ بالكوفة ولد سنة 80هـ، ت150هـ، له مؤلفات منها: «المستند» في الحديث، «رسالة الفقه الأكبر»، ابن خلكان: وفيات الأعيان 163/2، الزركلي 96/8: الأعلام.
- 69 مالك بن أنس بن مالك الأصبغي الحميري، إمام دار الهجرة، ولد بالمدينة سنة 93هـ، من مصنفاته «الموطأ»، «تفسير غريب القرآن» و«الوطعظ» (ت 179هـ). الزركلي: الأعلام 258/5.
- 70 محمد بن إدريس بن العباس بن نافع الهاشمي القرشي المظلي أبو عبد الله ولد في سنة 150هـ. له مؤلفات كثيرة منها: «الأم» في الفقه، «المستند» في الحديث و«الرسالة» في أصول الفقه. (ت 204هـ)، ابن كثير: البداية والنهاية 251/10، الزركلي 201/6. الأعلام.
- 71 أحمد بن محمد بن حنبل، إمام المذهب الحنبلي، ولد في بغداد 164هـ. له مؤلفات كثيرة منها: «308المستند»، «الناسخ والمنسوخ» (ت 241هـ). انظر ترجمته: ابن خلكان: وفيات الأعيان 217/1، الزركلي: الأعلام/230.

وهنا عدة مراجع للإمام مثل الإمام الشاطبي وابن حجر العسقلاني والإمام الشوكاني وغيرهم من العلماء الكبار في تخصصات مختلفة في العلوم الشرعية، وهناك المراجع المتعددة التي رجع الإمام رحمه الله تعالى إليها من السيرة النبوية والمصادر اللغوية والنحوية والبلاغية وغيرها من العلوم، ولم يترك رحمه الله تعالى أي جهد فيما يمكن الاستفادة منه.

ثالثاً: البيئة التي جاء تفسير المنار فيها

لو لاحظنا البيئة والظروف التي عاش الإمام محمد رشيد رضا وأصدر تفسير المنار وموقفه من التطورات الداخلية والخارجية التي شهدتها الدولة العثمانية على صعيد علاقاتها بأفراد رعيتها من العرب وسائر الأجناس لتعرف قدر هذا الإمام المجدد المكافح والداعية الإسلامي الغيور، وقد خاض رحمه الله تعالى في أغوار السياسة لعصره فجاهر برأيه في الخلافة وآل عثمان، وصدع الحق بلا خوف من لومة لائم، ويمكننا أن نعرض نضج هذه القوة الفكرية والعلمية في ثلاثة جوانب كالتالي:

1. تربية الأسرة أساس الإنجاز

نلاحظ مما تقدم أن أهم العوامل التي أثرت في شخصية الإمام محمد رشيد رضا وفكره تُعزى إلى بواكر نشأته وتربيته في بيت أهله، حيث كانت أسرته توصف بالأخلاق الفطرية الحميدة، فشب وترعرع على مكارم الأخلاق الفاضلة، ومن قيم أسرته لعلّه قد تمتع بقوة الشخصية واستقلال الرأي والثقة بالنفس، وقد تولد له ذلك من اعتزازه بعائلته وما شاهده في منزل والده من سلطة الوالد وقوتها، كما كان للإمام دروس دور فعال في حياة أساتذته يبعده من عثرات الطريق، وتشرّب من التربية الدينية عن طريق الصوفية كما وجهه للإرشاد الديني والتصدي لتبصيرة الناس.

2. ملازمة العلماء مؤثرة

لا شك أن العالم النابغ في علم هو محصول لعالم رباني نابغ آخر، وإن تصفحنا كتب التاريخ والتراجم والسير نجد القصص العجيبة لأصحاب العلوم والفنون والأفكار في العلاقة بين التلميذ والأستاذ، مثل أفلاطون وسقراط، والإمام أبي حنيفة وأصحابه وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم الجوزية وأمثالهم كثير. فرابطة العلاقة بين الإمام محمد رشيد رضا وأساتذته كلهم من النماذج الأولية في ملازمة التلميذ للأستاذ في تلقى العلم والفضائل، فتتعرف بها من خلال بيان هذه العلاقات لأبرزهم في عمالة:

أ- العلامة حسين الجسر⁷²

72 ولد الشيخ حسين الجسر بطرابلس سنة 1261هـ، ونشأ يتيماً وتولى رعايته عمه الشيخ مصطفى الجسر، قرأ القرآن (7) وتعلم الخط ثم انتقل إلى حلقة الدروس العلمية فقرأ على الشيخين عبد القادر وعبد الرزاق الرافعي، وقرأ مبادئ النحو والصرف واللغة ثم سافر إلى مصر ودخل الأزهر في سنة 1279هـ فانكب على التحصيل، وفاق أقرانه في جميع العلوم الدينية والعقلية واللغوية، واشتهر اسمه بين الأساتذة والطلاب في الأزهر ثم عاد

وقد كان الشيخ الجسر الأستاذ الأول لمحمد رشيد وتخرج على يديه في العلوم العربية والشرعية والعقلية ويقول محمد رشيد عنه: «أستاذي الأول ولا أعرف في الأزهر مثيلاً فيعلمه وعمله وسيرته»⁷³. ويصفه بأنه «كان له إلمام واسع بالعلوم العصرية، وكان كاتباً وشاعراً عصبياً يكتب وينظم في كل موضوع بعبارة سهلة، وكان له أسلوب خاص في التعليم غير أسلوب الأزهر يتحرى فيه السهولة في البيان، ويتجنب المناقشات اللفظية»⁷⁴. واستطراد الحواشي وهي الأمور التي ميزته عن غيره ممن تلقى العلم في الأزهر.

ب- الشيخ محمود نشابة⁷⁵

أخذ محمد رشيد على هذا الشيخ علم الحديث وفقه الشافعية، وقرأ عليه في أول الطلب «الأربعين النووية» وضبطها وأخذ بها إجازة كتابية ويصفه محمد رشيد بأنه «شيخ الشيوخ»، وعلامة الزمان في العلوم الأزهرية». وكان شيخ الشافعية والحنفية معاً. وكان الشيخ نشابة زاهداً معرضاً عن المظاهر الدنيوية وقد رثاه محمد رشيد بقصيدة مطولة⁷⁶.

ج- الشيخ عبد الغني الرافعي⁷⁷

وقد حضر رشيد على الشيخ الرافعي جانباً قليلاً من كتاب «نيل الأوطار» للشوكاني، ولكن رشيد استفاد كثيراً من معايشة الشيخ في العلم والأدب والتصوف، وكان الشيخ الرافعي يعشق كتاب «إحياء علوم الدين» ويكثر مطالعة مواظ الشيخ عبد القادر الجيلاني⁷⁸.

د- الأستاذ الإمام محمد عبده وجمال الدين الأفغاني⁷⁹

كان الإمام محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى قد التقى بالشيخ محمد عبده في طرابلس في زيارتين قصيرتين له، فازداد إعجاب به، ورغب في الاتصال به وأستاذه الأفغاني، وعندما جاء الأفغاني إلى

إلى طرابلس واشتغل بالتعليم والإرشاد. وله عدة مؤلفات أشهرها «الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الإسلامية» وله مقالات في جريدة طرابلس. هذا وقد توفي في سنة 1327هـ. عبد الله حبيب نوفل، تراجم علماء طرابلس وأدباءها، مكتبة السانتج، طرابلس 1984م، ص 167-172.

73 رضا، رشيد، محمد، المنار والأزهر، ص 174.

74 المصدر السابق، ص 141.

75 نشأ بطرابلس وتعلم فيها ثم ذهب إلى الأزهر وأقام فيه متعلماً ومعلماً ثلاثين سنة وحمل شهادته بثمانية عشر عاماً منه في الجبر والمقابلة. وعاد بعد ذلك إلى وطنه سنة 1266هـ وعلم وأفاد كثيراً في العلوم الشرعية والعقلية. ومن تأليفه حاشية «أمتن البيهقي في مصطلح الحديث» وهي مطبوعة وغيرها. نوفل، تراجم علماء طرابلس، ص 94-95.

76 محمد رشيد، المنار والأزهر، ص 142.

77 هو - كما يقول الأمير شكيب أرسلان - أحد أعلام الأسرة الرافعية الكريمة المشهورة بكثرة نوابغها، ولد بطرابلس الشام سنة 1272هـ وتعلم فيها ثم رحل إلى الأزهر، من مؤلفاته «ترصيع الجواهر الملكية»، «أسرار الاعتبار في التصوف» وله رسائل في فنون شتى ومجموعة من الفتاوى. شكيب أرسلان، السيد رشيد رضا أو إحياء أربعين سنة، ابن زيدون، دمشق، ط 1937م، ص 40. محمد رشيد، المنار والأزهر، ص 142.

78 نوفل، تراجم علماء طرابلس، ص 83-86. وينظر هاجر محمد أحمد أبو شوب، منهج تفسير المنار، ص 37.

79 ترجمتهما سبقت في بداية البحث.

علمانية مقابل الحركة الدينية متأثرة بالمفاهيم الأوربية وانطبعت بالصبغة الأوربية.

وقام المثقفون العرب بتأسيس عدد من الجمعيات العربية لتقوم بنشر الثقافة واللغة العربية في بادئ الأمر كانت الجمعيات علنية وفي هذه الجمعيات إلى تأسيسها في الأستانة بين عام 1909-1915م، وكانت هذه المدرسة للفكر القومي ومنتدى لها وبقيت الجمعية حتى عام 1915م. ومن الجمعيات العلنية: «حزب اللامركزية الإدارية» الذي شكلته الجالية السورية بمصر عام 1912م، وكانت تطالب بتولي ولاية إدارة شؤونها الداخلية، وكان لهذا الحزب علاقات بالجمعيات المختلفة في العراق وسوريا. ويهدف الحزب إلى جمع العرب في سبيل تحقيق الحكم الذاتي وفي أواخر 1912م تأسست «جمعية بيروت الإصلاحية» وكانت تتفق من حيث الأهداف مع حزب اللامركزية وأكدت على أن تكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية في الولايات العربية وأن يجند العرب في غير أيام الحرب في ولاياتهم.

وكان عامة المسلمين أثناء هذه الأحداث قد تعطشوا إلى من يرشدهم دينيا وفكريا في هذه التغيرات والتحولات من أمثال الأستاذ الإمام محمد عبده والتلميذ الفائق الإمام المتبحر محمد رشيد رضا إلى غير ذلك من العلماء الربانيين والمفكرين المثقفين الذين يعالجون أمراض الأمة الإسلامية من الناحية التعليمية والإصلاحية ودفع العدوان الاحتلالي على عقيدتها وروحها، حينما أصبحوا يتحرون في دينهم بكترة الشبهات التي أثاروها الغرب والشرق ضد الإسلام وذهاب قوة المناعة من كتلة المسلمين عموما، حتى علماء الأزهر آنذاك كانوا يرون التقليد الأمي طريقا لا محيد عنه، ويعدون آراء الفقهاء من المتأخرين أفضل من تفاسير القرآن الكريم والأحداث الصحيحة، وشاعت بينهم الخرافات من تقديس القبور وزيارتها وانتحال الكرامات لإصحابها والاستشفاء في قضاء المآرب ويملؤون دروس الوعظ بأمثال هذه الأباطيل، وأما النهوض بالأمة الإسلامية إلى المستوى اللاحق فمما لا يفكر فيه أحد من دون الهداية من العلماء.

حينما أصبحت الحالة في بلاد المسلمين كذلك أخرج الله تعالى للأمة الإسلامية العلماء الربانيين والمفكرين المجددين والسياسيين المحنكين، مثل أستاذ الأستانة الإمام السيد جمال الدين الأفغاني والأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده والإمام المفسر المبدع السيد محمد رشيد رضا. فسلالة هؤلاء المصلحين قد أثمرت ثمارها في المجتمع الإسلامي في مختلف البلاد شرقا وغربا المجالات الفكرية والسياسية والاجتماعية والدينية، وأسست الجمعيات الدينية والسياسية، فأشرفت من خلال هذه الإمكانيات والفرص المنار ربايات العلوم والإصلاح تفسير المنار وصاحبه الإمام محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى.

خاتمة

ويعد هذه الإطلالة على تفسير المنار لمحمد رشيد رضا التي تناولنا فيها التعريف بالمؤلف وجهوده التي قدمها رحمه الله تعالى لأمتة والتعريف بالتفسير ومميزاته ومناهجه والبيئة التي كتب الإمام محمد رشيد رضا تفسيره المنار فيها سياسية واجتماعية يتبين لنا أن الشيخ قد بذل جهدا كبيرا

مصر لازمه الأستاذ محمد عبده به حتى ترك دروسه في الأزهر، وقد أثرت أفكاره السياسية وانتشرت في البلاد العربية فعزم الإمام محمد رشيد رضا على تواصله في سنة 1314هـ-1896م، وكان بينه وبين الأفغاني مراسلات بدون تلقى به ولكن السيد الأفغاني توفي في هذه السنة، فاشتدت رغبة الإمام في الهجرة إلى مصر، للاتصال بوارث علمه وحكمته الشيخ محمد عبده فوصل محمد رشيد إلى الإسكندرية وقد اكتملت معارفه الأولية، ونذر نفسه للإصلاح، وذهب إلى القاهرة في اليوم التالي من وصوله إلى مصر، واتصل بالشيخ محمد عبده وأخبره بغرضه من الهجرة، وهي تلقي الحكمة عنه، فقرره الشيخ محمد عبده من مجلسه،⁸⁰ ثم عرض على محمد عبده أن يبدأ في الإصلاح إلقاء دروس التفسير، وبعد إلحاح كبير منه وافق محمد عبده وبدأ في إلقاء دروس التفسير في الجامع الأزهر، وكان ذلك في غرة محرم سنة 1317هـ، وانتهى منها بوفاته في منتصف المحرم سنة 1323هـ.

وكانت رؤية السيد جمال الدين الأفغاني من جهوده الفكرية سياسية أكثر من التعليمية والإصلاحية، وأما رؤية الأستاذ الإمام محمد عبده لتربوية وإصلاحية أكثر من السياسية، وفهم هذا واستغل وجمع من كلا الناحيتين في تحركاته وإنجازاته ونضج فيهما كعالم ديني متبحر، وسياسي حازق محنك وداعية ناجح وكاتب ترجمان أتمه ومخطط المستقبل، فضلا عن أن أصبح لأفكار أستاذه محمد عبده، حيث يقول عنما قيل له أنه رجل سياسي سيضرك: «كيف أرضى بإبعاد صاحب المنار عني، وهو ترجمان أفكاري»⁸¹.

ومن جانب آخر؛ ظهر في مختلف البلاد العربية أعلام نبلاء في عدة تخصصات، في الفكر السياسي عبد الرحمن الكواكبي، في الأدب الأمير شكيب أرسلان، في الحديث أحمد محمود شاعر، وفي الفقه وعلوم الحديث جمال الدين القاسمي، وأمثالهم كثيرون فربط الإمام لكل من هؤلاء صلته جيدا واستفاد منهم وأفاد لهم. رحمهم الله تعالى أجمعين.

4- المتفكر الفقيه عرف مجتمعه جيدا

ومن جهة أخرى جاء التفسير في سياق التغيرات والأحداث الهائلة التي مر بها العالم بأسره عموما، والمجتمعات الإسلامية بالخصوص، وأن مولد هذا التفسير جاء في زمن قد بدأت ظهور التغيرات السياسية والاجتماعية ولم يكن أثر الضغط الأوربي الاستعماري من قوى البريطانية الاستعماري وقوى فرنسا الاحتلالي يقل عن القوى الفكرية الداخلية العربية التي سرت مع الوعي العام في صياغة مختلف الاتجاهات الفكرية لمختلف الحركات السياسية العربية من الناحية الدينية والعلمانية والقومية. ففي الوقت الذي بلغ نضال الشعب العربي في مصر والمغرب العربي ذروته ضد الاستعمار الأوربي. وظهرت البقعة الدينية التي تزعمها السيد جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده في توحيد الشعوب الإسلامية لتستطيع صد العدوان الأوربي. ثم نشأت حركة

80 رضا محمد رشيد، تاريخ الأستاذ الإمام، 998-999.

81 كتاب النهضة الإسلامية من سير أعلام المعاصرين، الجزء الأول صفحة 235.

في تفسير المنار، خاصة تفعيل القرآن الحكيم بحكمته في إنهاء الأمة الإسلامية، وعالج القضايا المعاصرة والنوازل الملحة في عصره عبر تحليل معاني الآيات وتطبيقها على الواقع.

وأصبح تفسير المنار مرجعا كبيرا لكل من يهتم بالتفسير المعاصرة ودراساتها، وبالتفسير القديمة في آن واحد، لأن صاحب التفسير جمع مناهج القدامى والمعاصرين في التفسير، بما أن تفسير المنار خرج من قيود المناهج الخاصة حيث أنه يعد من التفسير الحرة في استخدام آليات التفسير كلها، حيث أن الإمام استخدم من الآليات ما يمكن استخدامه في التفسير، من اللغة والصرف والنحو وعلوم البلاغة، وراجع في تفسير الآية إلى معظم التفسير حتى يبحث مراد الله تعالى الحقيقي من تلك الآية.

ومن جانب آخر البيئات والظروف فدعت الإمام محمد رشيد رضا لإصدار هذا التفسير المبارك بهذا الأسلوب في هذا الصيت وفي هذا الطابع، وأعطى الإمام حق هذا التفسير حق زمان أهله، لأن عصره قد شاهد الأحداث والمتغيرات الهائلة سياسية واجتماعية ودينية من اختلال النظام في ذلك الوقت في العالم الإسلامي كله فلعب التفسير دورا عظيما في الحركات الإصلاحية والدعوية وفي إعادة الناس إلى القرآن الكريم والسنة.

الحق أنّ السيد رشيد رضا قد استطاع بمناره المجاهد أن يهدم هذه الأباطيل، وأن يعرض الإسلام قسبياً طريفاً، كما نسجه محمد صلى الله عليه وسلم من هدي القرآن، وضياء العقل؛ وإذا بلغ كاتب إسلامي هذا المبلغ في بيئته الجامدة وعصره المظلم، فقد فاز بتوفيق الله تعالى.

وأخيرا هنا عدد من التوصيات مّتي:

1. قراءة تفسير المنار بعمق والاستفادة منه لكل من يتيسر له سواء كان من الباحثين المتخصصين أو من عامة المسلمين، لأن في التفسير علوما جمة سردها مؤلفها الإمام محمد رشيد رضا في أسلوب رائع وبلغة سهلة، حيث يستفيد منه الجميع.

2. عدم التسرع بنقد محمد رشيد رضا في تقديمه العقل على النقل، بدليل أنه أتى بأراء الزمخشري صاحب الكشاف، وواجتهاداته الفكرية في بعض الآيات، وإلحاحه في مناقشة بعض الأحاديث النبوية، ذلك أنه بالغ في البحث عن الحقيقة والصواب، بدليل قوي خلال استشهاده.

3. يوصى لكل من يأتي إلى المؤلفات ناقدا أو مرشحا النظر الدقيق في البيئات والظروف والأوضاع الاجتماعية التي أحاطت بالمؤلف، لأنها في كثير من الأحيان تؤثر في فحوى المؤلف الكتاب، فزمن الإمام محمد رشيد رضا مثلاً؛ تروّجت فيه الحركات الإصلاحية وتأسيس الجمعيات السياسية والتعليمية ومشروعات المجالات المختلفة فاستغل الإمام بكل ما أتيت له من الفرص في نشر العلم وتربية المجتمع الإسلامي بمختلف الأليات، مجلة المنار وتفسير المنار من تلك القبلة.

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.
2. ابن خلكان، أبو العباس، أحمد، محمد، إبراهيم، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، تاريخ النشر: 1971، بيروت، لبنان.
3. أبو الفداء أحمد بن طراد، «ترجمة السيد محمد رشيد رضا وفوائده من مؤلفيه»، ملحق أهل التفسير، تاريخ التسجيل: 2013.03.11م.
4. أبو رية، محمد، «السيد محمد رشيد رضا»، مجلة الرسالة، العدد: 373، تاريخ النشر: 26/8/1940م، آخر التعديل: 11/5/2015م.
5. أرسلان، شكيب، «السيد رشيد رضا أو إهنا أربعين سنة»، مطبعة ابن زيدون، ط1، 1356هـ/1937م دمشق، سوريا.
6. الإمام بن عاشور، محمد طاهر، «التفسير ورجاله» سنة 1940، تاريخ التحرير والنشر: 2015 أغسطس 11م.
7. بوحلوة بدور، «معالم التجديد في تفسير المنار محمد رشيد رضا-تأريخ تطبيقية»، رسالة الماجستير، جامعة أبو بكر بلقايد-تلمسان، 2014/2015م.
8. البيومي، رجب، محمد، النهضة الإسلامية من سير أعلام المعاصرين، دار القلم، سنة النشر: 1415 - 1995.
9. د. نجاة عبد الكريم، «أوقات مع محمد رشيد رضا»، مجلة الوضع الاجتماعي في سورية، العدد العشرون، كليات الأدب، جامعة البصرة.
10. راعد جميل عكاشة، «محمد رشيد رضا وجهود الإصلاحية والعلمية»، نسخة إلكترونية من المكتبة الشاملة.
11. رضا محمد رشيد، «تاريخ الأساتذ الإمام الشيخ محمد عبده»، الطبعة الثانية، دار الفضيلة، 1427/2006م، القاهرة، مصر.
12. رضا، محمد رشيد، ومحمد عبده «تفسير المنار/تفسير القرآن الحكيم»، الطبعة الثانية 1366هـ/1947م، دار المنار، القاهرة، مصر.
13. الزركلي، عبد المتعال الصعدي، الأعلام -المجددون في الإسلام.
14. زياد خليل محمد الدغمان، «منهج التعامل مع القرآن في فكر الشيخ محمد رشيد رضا»، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد 50/17، تاريخ النشر: 2002م، جامعة الكويت: 05911.
15. السلطاني محمد رسن دمان، المحاضرات بعنوان: «الأوضاع السياسية قبيل الحرب العالمية الأولى» درس عن طريق الإنترنت، 27/01/2013.
16. الشرباصي، د. أحمد، «العقل وتفسير المنار»، مجلة الوعي الإسلامي، العدد: 17، تاريخ النشر: 1/2007.
17. شفيق، شفيق، موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث الشريف: دراسة تطبيقية على تفسير المنار، (بيروت، المكتب الإسلامي، ط1، 1419هـ/1998م)، 408-275.
18. الشهري، عبد الرحمن، الناشر: حازم، محي الدين، «قراءة في منهج رشيد رضا في تفسير المنار وموقف النقاد منه»، ملحق أهل التفسير، 2009.11.01م، تاريخ الزيارة: 2018.05.15م.
19. محمد حلمي عبد الوهاب، تفسير المنار في سابق التفسير المعاصرة، مقال من موقع إسلام أون لاين، تاريخ التسجيل: 2017.09.03م.
20. مصطفى محمد الحسن، كتاب قراءة في مقدمة تفسير المنار، مقال، نسخة إلكترونية، 2007/1427.12.27م.
21. نوفل، حبيب، عبد الله، تراجم علماء طرابلس وأدباءها، مكتبة السائح، طرابلس 1984م.
22. هاجر محمد أحمد سبو، منهج تفسير المنار في التفسير، رسالة الدكتوراه، جامعة الخرطوم، يوليو، 2004م.

KAYNAKÇA

- Arslan, Şekib. *Seyyid Reşid Rıza ev İhâu Erbeîne Sene*. Dımeşk: Matbaatu İbn Zeydun, 1937.
- Beyyumi, Recep Muhammed. *en-Nehdatü'l-İslâmiyye min Siyeri Alâmi'l-Muâsirîn*. B.y.: Dâru'l-Kalem, 1995.
- Buhlufa Bedur. *Meâlimu't-Tecdîd fî Tefsîri'l-Menâr Muhammed Reşid Rıza* (Yüksek Lisans Tezi), Tilmisan: Câmiatü Ebu Bekr, 2015.
- Ebu Reyve, Muhammed. "es-Seyyid Muhammed Reşid Rıza". *Mecelletü'r-Risâle* 373 (1940).
- Hacer, Muhammed Ahmed. *Menhecü Tefsîri'l-Menâr fî't-Tefsîr* (Doktora Tezi). Câmia Hartum, 2004.
- İbn Aşur, Muhammed. *et-Tefsîr ve Ricâluhu*. B.y.: 2015.
- İbn Hallikan, Ebu'l-Abbas Ahmed Muhammed İbrahim. *Vefeyâtü'l-Ayân*. Beyrut: Daru Sadır, 1971.
- Necat Abdülkerim. "Vekafât maa Muhammed Reşid Rıza". *Mecelletü'l-Vadi'l-İslâmî fî Suriye* 20. Basra Üniversitesi Edebiyat Fakültesi, ts.
- Nevfel Habîb Abdullah. *Terâcim-i Ulemâ-i Trablus ve Üdebâuhâ*. Trablus: Mektebetü's-Sâih, 1984.
- Rıza, Muhammed Reşid. *Tarihu'l-Üstad el-İmam eş-Şeyh Muhammed Abduh*. Kahire: Dâru'l-Fazîle, 2006.
- Rıza, Muhammed Reşid. *Tefsîru'l-Menâr*. Kahire: Dâru'l-Menâr, 1947.
- Şakir, Şefik. *Mevkifü'l-Medreseti'l-Akliyye el-Hadîse mine'l-Hadîsi's-Şerîf: Dirâse Tatbîkiyye alâ Tefsîri'l-Menâr*, Beyrut: el-Mektebetü'l-İslâmî, 1998.
- Şirbasi, Ahmed. "el-Akl ve Tefsîru'l-Menâr". *Mecelletü'l-Va'yi'l-İslâmî* 17 (2007).
- Ziyad Halil Muhammed ed-Değâmin. "Menhecü't-Teâmül mea'l-Kur'ân fî Fikri's-Şeyh Muhammed Reşid Rızâ". *Mecelletü's-Şerîa ve'd-Dirâsâti'l-İslâmiyye – Câmiatü'l-Kuveyt* 17/50 (2002).